اسئلة واجوبتها

دمشق — عثرنا في بعض التواريخ على ذكر رجلٍ يلقَّب باليهودي التائه مُفاد ما ذُكر عنهُ انهُ ساح في اقطار المعمور مدة قرون متتابعة وانهُ لا يزال حيًّا الى اليوم فهل لكم ان تكشفوا لنا عن حقيقة هذا الخبر وأصلهِ

ع . ن

الجواب — هو خرافةٌ من اساطير الأوّلين لا يُعلَمَ واضعهـا ولا تأريخ وضعها بل هي مما تنازعتهُ الدعاوي وكثر المتحلون لها من كل بلاد والظاهر ان الغرض منها الرمز الى امورٍ وقعت في التاريخ او تناقلتها الألسنة ونحن نروي لكم محصَّل ما وقع الينا منها وان لم يكن فيهِ كبير فائدةٍ نأخذهُ عن بعض اصحاب التواريخ القديمة قالـــ

زعموا أن احد اساقفة شَلَسْوِيك من اعمال الدنمرك قديمًا ذهب يومًا لزيارة صديقٍ لهُ في مدينة سالان يقال لهُ فرنسيس أيسان من اهل اللاهوت فأجل ملتقاهُ وبالغ في اكرامهِ ولما كان بعد ايام اتفق تذكار يوم عيد الغطاس فدعاهُ أيسان لسماع خطبة العيد فاجابهُ الى ذلك . وبينا كان يجيل طرفهُ في الحضور وقعت عينهُ على شيخٍ كبير ذي لحيةٍ بيضاء مسترسلة كان شديد الاصغاء لقول الخطيب وكان كلما سمع في كلامهِ اسم يسوع يضرب صدرهُ ويُعوِل بالبكاء . فعجب الاسقف من حالهِ ودعتهُ نفسهُ الى ان يطّلع طِلْعَهُ فلما انقضت الخطبة وأزِف خروج الناس بعث خادمًا لهُ يدعوهُ اليهِ فأقبل وكان الاسقف في جماعةٍ كبيرة فلما صار بحضرتهِ سألهُ عن امرهِ فتردّد عن الجواب فألحّ عليهِ فاتخذ لهُ مجلسًا بين يدي الاسقف ثم شرع في قصتهِ فقالـــ

« اني امرؤٌ وُلِدت في سبط نفتالي سنة ٣٩٦٢ للخلق وذلك قبل ان

يقتل الملك هيرودس ولديهِ بأمر اوغسطس بثلاث سنين واسمي أَحَشْوارُس وكان ابي نجارًا وامي كانت تعمل بالابرة وتطرّز ملابس اللاويين . وقد تعلمت القرآءة والكتابة ولما أن شبيتُ أُلقي اليَّ كتاب الناموس والانبيآء وكان في حوزة ابي كتابٌ ضخمٌ من الرَقّ كان قد انتهى اليهِ من سَلَفهِ فقرأت فيهِ امورًا غريبة لا بأس ان اتلوها عليكم وهذا مُفادها

« لما هبط ابوانا آدم وحوآء من الجنة وولِد لهما قايين وهابيل وقع في ظنهما ان واحدًا منهما سيكون هو المسيح الذي يكفّر عنهما جريرة المعصية التي سقطا فيها حتى اذا وثب قايين على هابيل وقتلهُ ذهبت آمالهما سُدًى وبكاهُ آدم مئة عام . وعاش آدم بعد ذلك دهرًا طويلاً وولِد لهُ بنون وبنات ولما احسّ بقرب أَجَلهِ دعا ولدهُ شيث وقال لهُ هلمَّ الى الفردوس الارضي وسل الملَك جبرائيل القائم على مدخلهِ بسيفٍ من لَهَب ان يأذن لي في دخول الفردوس مرةً واحدة قبل مماتي

« وكان شيث لا يعلم شيئًا مما وقع لأبويهِ فانطلق حتى اتى باب الفردوس ولقي الملَك جبرائيل وانهى اليهِ رسالة آدم فقال لهُ جبرائيل لا ابوك ولا انت ولا احدٌ من اعقابكما يدخل هذا الفردوس ولكنكم ستدخلون الفردوس السماويّ . ثم اخذ بيدهِ وأراهُ من بعيدٍ ذلك المكان الذي كان ابواهُ مقيمين بهِ وأُخرجا منهُ بمعصيتهما فوقع ذلك المنظر من شيث موقعًا هاجهُ للبكآء . ولما اراد الانصراف دعاهُ جبرائيل ثانيةً وقال لهُ ان اباك سيموت عن قليل وهذه ثلاث نَوَيات من ثمر الشجرة المنهيّ عنها فاذا مات فضعهنَّ تحت لسانهِ وادفنهُ

« فعاد شيث وفعل كما قالــ لهُ جبرائيل ولم تلبث تلك النوَيات أن نبتنَ في الموضع الذي دُفن فيهِ آدم ثم كنَّ ثلاث شجراتٍ لهنَّ ثمرٌ لم ترَ

العين احسن منهُ الاّ انهُ كان مُرّ الطعم شديد العفوضة ولذلك لم يكن احدٌ يكترث بهذه الشجرات

واتى على ذلك ما شاء الله من الزمن الى ان بلغ آباؤنا ارض الموعد وشرعوا في ابتناء المدن والحصون وكانت الشجرات اللاتي ذكرتهنَّ باقيات في موضعهنَّ على الجبل القائمة عليهِ مدينة اورشليم وكنَّ في ظاهر المدينة الى ان اتسعت اسوارها على عهد الملك داود فادخلهنَّ في ضمنها وابتنى بجانبهنَّ منزلاً لنفسهِ لشدَّة ما اعجبهُ منظر ثمرهنَّ

« وانهُ قطف يوماً ثلاثاً من هذا الثمر وشقَّ واحدةً منهنَّ فاذا فيها تراب ثم شقَّ الثانية فاذا مكتوبٌ فيها « حاشيكاب » اي ثقّلها بحبّة وشقَّ الثالثة فوجد فيها وصف آلام المسيح على ما تنبأ عنها في زبورهِ

« ولما خربت اورشليم بعد ذلك بقي قصر داود والشجرات الثلاث بجانبهِ على مسافة ميل من المدينة ولبثنَ كذلك الى عهد انتياطر (ارسطوبولس) ابي الملك هيرودس الاول فقطعهنَّ سنة ٣٩٣٠ وجعل الساحة التي كنَّ فيها موضعاً لعقوبة المجرمين وهو الموضع الذي سُمّي بالجلجثة فحُملت اجذاعهنَّ الى المدينة وطُرحنَ الى جانب جدارٍ ثم اتذكر اني جلستُ عندهُ مراراً العب مع أترابي وهذه الشجرات عينها هي التي أُتخذ منها صليب يسوع المسيح

ثم ذكر هنا خبر مولد المسيح وما كان من سيرتهِ بعد ذلك في شرحٍ طويل بعضهُ موافقٌ لما جاء في الاناجيل وبعضهُ نقلٌ عن التقاليد الى ان بلغ الى ذكر آلامهِ فقال

« اما يهوذا الاسخريوطي الذي كان على يدهِ تسليم المسيح فان اباهُ من بني رأوبين وكان بستانياً فلما حملت امرأتهُ بيهوذا حلمت انها وضعت ولداً في

يدهِ تاج وانهُ رمى بهِ الى الارض ووطئهُ بقدميهِ ثم وثب على ابيهِ فقتلهُ وانطلق بعد ذلك الى الهيكل فحطّم ما فيهِ من الزخارف الثمينة . فاستيقظت وهي مذعورة وقصّت ما رأتهُ على بعلها فذهب يلتمس المعبّرين فقيل لهُ انهُ سيولد لهُ ولدٌ يكون من امرهِ ان يقتل احد الملوك ويقتل اباهُ ويكون متهالكًا في حب المال حتى لا يتقي في تحصيلهِ شيئًا من الموبقات . فلما سمع ابو يهوذا ذلك اضمر منهُ خيفة عظيمة وصمم مع زوجتهِ على ان يغرّقا الطفل عند مولدهِ . وبعد ما وُلد وأتى عليهِ عشرة ايام جعلهُ ابوهُ في تابوت وحملهُ الى الأُردنّ حيث يدفع في البحر الميّت فألقاهُ هناك فطفا التابوت على وجه الماء وساقتهُ الامواج حتى بلغ الى جزيرة كنديا وكان ملك الجزيرة قد خرج مع امرأتهِ للتنزه فبصُرَ بالتابوت فوجّه من التقطهُ وفتحهُ فاذا فيهِ طفلٌ جميل الصورة فأمر ان يُعتنى بهِ وسمّاهُ يهوذا لانهُ عرف من الثياب التي عليهِ انهُ كان يهوديًا

« فنشأ يهوذا مع ابن الملك وكان ابن الملك اكبر منهُ بسنة ولما كبرا جعل يختلس من ابن الملك الشيء بعد الشيء فشكاهُ الى ابيهِ فامر بتفتيشهِ فاذا معهُ قطعٌ من النقود وأشياء أُخر من نحو خواتم وجواهر مما سرقهُ من الملكة وابنها فأمر بهِ فجُلد . فكان من أعقاب ذلك انهُ جعل يترصّد الفُرَص للانتقام من ابن الملك حتى خلا بهِ يومًا في بعض الغابات فضربهُ ضربةً على رأسهِ فالقاهُ قتيلاً ثم نزل البحر فنجا الى مصر ومن هناك صار الى اورشليم فدخل في خدمة احد الكبراء

« وان مولاهُ ارسلهُ في بعض الايام ليبتاع لهُ فاكهةً وقال لهُ تذهب الى منزل كذا بموضع كذا — وهو المنزل الذي يسكنهُ ابوهُ — وهناك بستان تبتاع منهُ ما امرتك فانطلق ولما بلغ المكان تسلق جدار البستان وجعل يقطف

من الفواكه واتفق اذ ذاك دخول ابيهِ البستان فرآهُ في تلك الحال فزجرهُ وتشاتما ثم تشاجرا فضربهُ يهوذا عدة ضرباتٍ فخرَّ على الارض صريعاً واخذ يهوذا ما قطفهُ وذهب

« فلما كان الغد جاءت امهُ وشكت ما فعلهُ الى مولاهُ فرُفع الى المحكمة فحكمت بانهُ اذا مات الرجل يتزوج يهوذا امرأتهُ وكان الامر كذلك فدُعي بالاسخريوطي اي القاتل وعاش مدةً طويلة مع امهِ

« واتفق يوماً انها نظرت فاذا اصبعان من رجلهِ ملتصقتان فصاحت اللهمَّ اني ارى حلمي قد تحقق فان الولد الذي نبذناهُ كانت اصابعهُ كذلك ثم كانت كلما اعادت النظر الى يهوذا تزداد تحققاً انهُ هو ولدها وزادها تاكيدًا انهُ كان على صدغهِ شامةٌ سمراء وكانت تعهد هذه الشامة في الذي ولدتهُ وحينئذٍ لم يبقَ عندها فيهِ شبهةٌ

وساق الكلام بعد ذلك الى ان بلغ الى حديث الصلب فقال « بينا انا يوماً بباب منزلي اذا بجماعةٍ يتراكضون وهم يقولون ان يسوع يُقتاد للصلب فرفعت ابني بين ذراعيَّ لأُريهُ ذلك لان يسوع وصل في تلك الساعة وهو ينوء بصليبهِ من الكلال حتى اذا بلغ باب منزلي وقف هنيهةً ليستريح فلما رأيتهُ كذلك استشطت غيظاً لاني عددتُ ان في ذلك اهانةً لي وقلت لهُ بجفاء اغرُب عن بابي فاني لا آذن لرجلٍ ساقط ان يقف عندهُ. فنظر اليَّ نظرة رجلٍ كبير وقال اني سأذهب واستريح واما انت فستذهب ولكنك لن تستريح بل تبقى مسافرًا ما دام العالم عالمًا الى يوم الدين يوم تراني جالساً عن يمين ابي لأدين الاسباط الاثني عشر الذين صلبوني

« فتركت ولدي وتبعت يسوع فكان اول شخصٍ رأيتهُ ويرونيكا وهي

المرأة التي مسحت وجه يسوع بمنديل فارتسم وجههُ على ذلك المنديل . وبعد ذلك رأيت مريم ونسوةً أُخر يبكينَ واذا احد الصنّاع قد جاء وفي يدهِ المسامير والمطرقة فأخذ احد المسامير وأراهُ لمريم وقال انظري ايتها المرأة ان ابنكِ سيستمر بهذا

« فصحبتهُ الى الجبل ولما وصلوا الى هناك صلبوهُ وركزوا صليبهُ في نفس الموضع الذي دُفن فيهِ آدم وهو الموضع الذي كانت فيهِ الشجرات الثلاث وبعد ان فاه بكلماتٍ قلائل فاضت نفسهُ وحينئذٍ اظلمت السماء وثارت عاصفة شديدة وهبّت الاموات من قبورها ومادت العصور وانشقّت الارض عند اسفل الصليب . ثم جاء لونجان وبيدهِ حربة فطعن بها خاصرة يسوع وكان قد مات فسال الدم الذي خرج منهُ في شقّ الارض تحت الصليب وسقى رأس آدم وحوّاء المدفونين معاً هناك

« ولم يكد المسيح يموت حتى شعرتُ ان دافعاً يدفعني للرحيل عن اورشليم فارسلت طرْفي الى جهتها لأتزوّد منها آخر نظرة ثم سافرت وانا لا ادري الى اين اتوجه فقطعت جبالاً شامخة وفلواتٍ واسعة ولم ادع برًّا ولا بحرًا الاّ جزتهُ وانا حيثما وطئت قدمي لا استطيع ان اتوقف وهاءنذا الآن اراني كأني واقفٌ على جمر ملتهب ومع اني جالس فان ساقيَّ تتحركان ولا اجد لي صبرًا عن المسير

« فأنا اجري شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً وبعد ان طفت العالم كلهُ عدت الى اليهودية لكن لم اجد هناك اهلاً ولا اصدقاء لان لي مئة عام وانا امشي مشياً متواصلاً فعدت وخرجت من اورشليم وقد ثقُلَ عليَّ وقر هذه الحياة المديدة وفي نفسي ان اتعرض لجميع ضروب المنكة لعلي اتخلّص من هذا

العيش الثقيل وقد قاتلت في عدة مواقع واصابني ما يذيف على الفي ضربة فلم تُصبني واحدةٌ منها بجراحة لان جسدي صلبٌ كالصخر فلا يعمل فيهِ شيءٌ من السلاح وركبتُ البحر وغرق المركب الذي كنت فيهِ مراتٍ ولكني لبثت طافياً على الماء مثل ريشة . وانا لا اجد جوعاً ولا عطشاً ولا امرض ولا اجد الى الموت سبيلاً وقد جبت العالم اربع مرات وكل موضع انتهيتُ اليهِ وجدت انقلاباً عظيماً فمن بلادٍ خربت ومدنٍ تدمرت مما يطول سردهُ عليكم »

ولما فرغ من قصتهِ نهض لينصرف فسألهُ الأُسقف ان يلبث هُنَيهةً اخرى فأبى وعرض عليهِ شيئاً من المال لنفقة طريقهِ فقال « هذا مما لا حاجة لي بهِ فاني اطوي سنواتٍ متوالية لا آكل ولا اشرب ولا احتاج الى تجديد ثوبٍ ولا حذاء لان ما معي من ذلك لا يرثّ ولا يبلى » . ثم ودّع الجماعة وعاد في طريقهِ ليباشر سفرتهُ الخامسة

هذه خلاصة ما رُوي من قصة هذا الرجل وهو فيما ترى جماعةٌ رمزٌ الى اعقاب بني اسرائيل وما عرض لهم من التفرّق في الارض بعد انقضاء دُولهم وذهاب ملكهم وفي رأي آخرين تمثيلٌ للدهر في شخص رجلٍ قد صحب الاعصار وجاب الاقطار وعاين تقلب الاحوال وتعاقب القرون والاجيال وهو في كل ذلك شاهدٌ لا يغيب عنهُ شيءٌ ولا يعرض لهُ الزوال والله اعلم

متفرقات

ابرد مكان في المعمور وضدّهُ — ذكر المسيو ويلد قيّم المرصد الطبيعي في بطرسبرج ان ابرد معمور في الارض بُليدةٌ من سيبيريا يقال لها فَرْخنوينسك وهي على ١٣٠° من الطول و٦٧°٤٣ من العرض الشمالي وارتفاعها فوق